مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 13 العدد: 04 السنة 2021 ص 491 - 510

تاريخ الإرسال: 2020/09/29 تاريخ القبول: 2021/02/10
تاريخ النشر: 2021/10/11

المنهج التاريخي في النقد الجزائري الحديث قراءة في كتاب (القصة الجزائرية القصيرة) لعبد الله ركيبي نموذجا

The historical curriculun in modern Algerian criticism areading in the book (the short Algerian story) by dr : Abdullah Rukib

[1]مختار ولدعزاوي ؛ [2] أ.د عمر بن طرية
مخبر: النقد الأدبي ومصطلحاته. جامعة ورقلة (الجزائر)
[1] ouldazzaouimokhtar@gmail.com . [2] bentria17@gmail.cm

الملخص:

نتناول في هذا المقال دراسة المنهج التاريخي في النقد الجزائري الحديث، باعتباره نقطة بداية دراسة الأدب العربي من حيث جمعه، وتقسيمه إلى عصور روعي فيها أثر التحول السياسي.

وقد حظي المنهج التاريخي باهتمام كبير من الدارسين في مختلف الأقطار، وكتب الكثير حول الدراسات التي انتهج أصحابها هذا المنهج، وقد خصص هذا المقال للكشف عنه في الدراسات النقدية في الجزائر، خصوصا فيما كتبه عبد الله ركيبي حول القصة القصيرة في الجزائر، فالناقد عبد الله ركيبي من الرواد الأوائل المهتمين بدراسة الأدب الجزائري، المتتبعين لأطواره وتطوره عبر سيره الزمني.

الكلمات المفتاحية: المنهج التاريخي، النقد الجزائري، عبد الله ركيبي، القصة القصيرة.

Abstract:

In this article,we'll deal with the study of the historical approach in modern algerian criticism, as it was the starting point in the study of Arab literature in terms of collecting this and dividing it into eras in which the impact of the political side is taken in account more than others.

The historical approach has received great attention from scholars in different countries,many studies are based on this approach . this article is devoted to uncovering it in critical studies in Algeria,especially what Abdullah Rakibi wrote about the short story in Algeria,the critic Abdullah Rakibi is one of the first pioneers whose interested in studying of the algerian literature and it's development through history.

Keywords: Historical approach, Algeria criticism, Abdullah Rkibi

مختار ولد عزاوي، الإيميل:OULDAZZAOUIMOKHTAR@GMAIL.COM

1.مقدمة:

يعد المنهج العمدة الأساسية في البحث ، فهو السبيل الذي يؤدي إلى نتيجة ذات قيمة علمية ؛ إذ المنهج في أبسط تعريفاته هو الطريق الذي يصل به الإنسان إلى حقيقة ما. والإنسان بما وهبه الله من عقل وتفكير منذ أن خلقه، لا بد أن يكون قد قاده عقله إلى معرفة المنهج الذي يسير عليه في مراحل حياته، ويعرف كيف يذلل ويجتاز الصعاب، وكيف يستفيد من تجارب الحياة، إلا أن هذا المنهج كان بسيطا بساطة الإنسان البدائي، لكن وبعد أن تراكمت التجارب ، واتسعت مجالات الحياة، وبدا التطور واضحا في مختلف مناحي الحياة البشرية، أدرك هذا الإنسان ضرورة المنهج في الحياة ، وكما يقول علي جواد الطاهر: "لا يمكنك أن تتصور الحضارات

الأولى في العراق وفي مصر والصين ـ مثلا ـ دون منهج من المناهج"[1] ولاسيما عند الإغريق، إذ صار المصطلح نفسه يعني " البحث أو النظر أو المعرفة "[2]

ومع سير الزمن وإنتاج المعرفة، وتقدم الفكر الإنساني، وكثرة الفلاسفة، يزداد موضوع المناهج وضوحا، وتنوعا حسب موضوعات البحث، وحسب ما يتطلبه من آليات، ولم يستثن من ذالك أي مجال من مجال المعرفة الإنسانية، حيث أصبحت تدرس على أساس من العلم وتطبق عليها آليات وقواعد المنهج التجريبي.

ومنذ عصر النهضة الأوروبية، ظهر نخبة من الباحثين استثمروا رصيدهم العلمي لدراسة الأدب دراسة علمية ، فنظروا إلى النص الأدبي على أنه نص يحيل إلى عوامل إنتاجه التي انبثق منها، وعملت على تطويره، ورأى الباحثون أن البحث في الأدب علم له ماله " وكما كان في العلم نظرية تطور يمكن أن يكون في الأدب، وكما كان في العلم "البيئة والجنس والعصر " يمكن أن يكون في الأدب "[3]

وخلال القرن التاسع عشر اشتدت النزعة العلمية لدى الدارسين للأدب ، فالبعض درس الأدب بمنهج علمي بحت، ومنهم من كانت نظرته فيها الكثير من التحفظ فلم يعد الأدب علما مثل الكيمياء أو الفيزياء، يمكن إخضاعه للمناهج التجريبية، ولكنه تاريخ نابع من النفس الإنسانية، فهو قصة المشاعر والأحاسيس ورواسب الشعور، فيراعى فيه جانب الفنية الأدبية، وصفة أخراة علمية، لأنك في دراسة نص أدبي، أو دراسة أديب ما، تخضع العملية للمنهج التاريخي، فتدرس العصر والبيئة والعوامل الخارجية المنتجة لهذا النص والمؤثرة في منتجه، وبهذا أصبح الأدب يدرس دراسة علمية، ووجد ما يعرف بتاريخ الأدب وصار درسا معترفا به في الجامعات له أساتذته وله كتبه؛ وقد كان الدراسات التي قام بها كل " هيبوليت تين 1828 ـ 1893" و"برونتيار 1849ـ 1906" و "سانت بيف 1804ـ 1869 و "غوستاف لانسون 1857ـ 193433" هي العمدة في المنهج التاريخي .

هدف الدراسة: وإذا كانت الدراسات التي تناولت المنهج التاريخي كثيرة ومتنوعة، فإن هذه الدراسة تهدف إلى مقاربة المنهج التاريخي في الدرس النقدي في الجزائر، وتقف عند الناقد "عبد الله ركيبي " ومع كتابه " القصة القصيرة في الجزائر "

إشكالية الدراسة :إن إشكالية البحث تكمن في التساؤل التالي، ما هو المنهج الأول الذي درس به النقاد الأدب الجزائري، ؟ ثم ما هي ملامحه في كتاب " القصة القصيرة في الجزائر" للدكتور عبد الله ركيبي، ذلك أنه لا بد في أي دراسة من منهج يتبعه الدارس حتى تكون دراسته دراسة علمية

منهجية الدراسة: من أجل الوصول إلى نتائج موضوعية اعتمدت الدراسة على المنهجية الآتية: الجانب نظري حول مفهوم المنهج التاريخي، والدراسات التي طبقته في النقد الجزائري، والجانب التطبيقي فكان قراءة لكتاب "القصة القصيرة في الجزائر.

2. مفهوم (المنهج التاريخي)

المنهج في كلام العرب لفظ يدل على الطريق البين الواضح، كما ورد في لسان العرب "وطُرُقٌ نَهْجَةٌ، وسبيلٌ مَنْهَجٌ: كَنَهْجٍ. ومَنْهَجُ الطريقِ: وضَحُه."[4] ويعني في الاصطلاح الخطوات التي يتبعها الباحث في موضوع ما، بغية للوصول إلى نتيجة يقينية أو ظنية.

أما مفهوم المصطلح كلفظتين مركبتين من وموصوف وصفة " المنهج التاريخي " فهو مصطلح نقدي حديث، موضوعه البحث في المؤثرات التي لها علاقة بالأدب ومبدعه، فالناقد التاريخي يدرس النص الأدبي ويدرس صاحبه في ضوء البيئة والزمان والمكان والأحوال السياسية والاجتماعية، التي عاشها وكان لها التأثير المباشر وغير المباشر، في إنتاج الفن الأدبي بالذات، إذ " أن كل أمة في عصر من العصور لها طابع خاص يطبع أدبها وهذا الطابع هو نتيجة بيئة "[5] انطلاقا من المقولة "الإنسان ابن بيئته"، فلكي ندرس نصا أدبيا وفق المنهج التاريخي، لا بد من

السير على وفق ما يشبه سلسة من المعادلات السببية" فالنص ثمرة صاحبه، والأديب صورة لثقافته، والثقافة إفراز للبيئة، والبيئة جزء من التاريخ، فإذا النقد تأريخ للأديب من خلال بيئته"[6] فالمنهج التاريخي يربط الوقائع الأدبية بالبيئة والمحيط الثقافي والاجتماعي للأديب، ويربط الأديب ببيئته ومحيطه، لأن الوقائع الأدبية لا يمكن غزلها أو فصلها عن سياقها التاريخي والاجتماعي، أو تفسيرها بعيدا عن مواقف الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية التي ولدت فيها " فالماضي الأدبي هو جزء لا يتجزأ من الماضي الاجتماعي والتراث الثقافي، كما أن موقف الكاتب في التاريخ الأدبي إنما يتكامل مع المواقف الاجتماعية والتاريخية، فالتاريخ الأدبي كالتاريخ العام تحكمه علاقة جدلية لايمكن نزعه عن إطاره الاجتماعي أو الثقافي "[7]

والناقد التاريخي لا يقف عند حدود ووصف الوقائع الأدبية وعلاقتها المتبادلة ضمن النسق النصي، كما تذهب إلى ذلك المناهج النسقية :كالبنيوية والسميائية وغيرهما من المناهج التي لا تراعي في دراستها المؤثرات الخارجية، وإنما يدرس النص الأدبي في إطار حياته وموضع ولادته وما أحاط به من ظروف، وينظر إلى النص الأدبي على أنه جزء من هذا الإطار، فالنص الأدبي ينصبغ بصبغة البيئة التي كونته، وبالثقافة التي كونت فكر الأديب المبدع ،" إن البيئة هي التي تجلب الفن أو تذهب به مثلها كمثل البرودة حين تجلب الندى أو تذهب به حسب درجة شدتها أو ضعفها"[8] وعليه فالناقد حسب المنهج التاريخي يعمل على إبراز الظروف التاريخية والاجتماعية التي أنتج فيها النص، دون الاهتمام كثير بالمستويات الدلالية الأخرى التي يكشف عنها النص، ومدى تأثيره على القارئ.

والناقد التاريخي يعطي أهمية كبيرة للواقع الذي كون فكر المبدع، لأن الوقائع الأدبية لا ترجع إلى المبدع وحده وإنما المبدع ابن بيئته، فالعملية الإبداعية تتمخض عن حركة متعددة الجوانب " تتضمن الفرد والظروف والمواقف التي تمليها العوامل

الاجتماعية والمواقف السياسية "[9] لذلك على الناقد التاريخي أن يراعي هذه الجوانب من أجل فهم التطورات التي تطرأ على الأدب، وتحديد السمات التي تطبع أدب كل بيئة، لأن كل عصر من العصور له من السمات الخاصة التي تميز أدبه عن غيره، وهذه السمات نتيجة البيئة التي أنتجته فمثلا" الأدب العربي نفسه وإن اشترك كله في الخضوع لقوانين اللغة العربية من نحو وصرف وبحور شعر وقافية فإنه يختلف إلى درجة كبيرة باختلاف البيئة التي أنتجته، فالأدب العراقي غير الأدب الحجازي وكلاهما غير الأدب الأندلسي، وكلها غير الأدب المصري"[10] فالإلمام بالتطورات التي تطرأ على أي أمة سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم ثقافية يدرك تأثيرها على المعطى الأدبي، وندرك من خلال إحاطتنا بهذه التطورات الفروق والاختلافات التي أنتجتهما التغيرات الطارئة على البيئة، فإذا عرض على دارس الأدب دارسة تاريخية " شعر لم يسمعه من قبل أمكنه أن يعرف من أي إقليم هو، وفي أي عصر كان والعالم بهذا كله يستطيع أن يذكر السبب الذي من أجله نبعت الموشحات وكثرت في الأندلس، ولم كثرت الأزجال في مصر، ولم كثرت المقامات في العراق "[11] فالدارسة التاريخية للأدب تكسب الناقد إدراك العلاقة بين الواقع الأدبي والواقع الذي كان محل إنتاج هذا الأدب، لأن الأدب يمثل تاريخ أهله وخطابهم الفكري والاجتماعي والفني وحاجاتهم المتنوعة الأخرى في كل مرحلة من مراحل تطورهم.

فالمنهج التاريخي له أهميته الأساسية في دراسة النصوص وجمعها، وترتيبها ووضعها في العصر الذي تنتمي إليه، فهو يقدم المادة الأدبية، من غير تعرض لها في ذاتها.

3. المنهج التاريخي في النقد الجزائري الحديث:

يعد المنهج التاريخي هو البوابة المنهجية الأولى التي انفتح الخطاب النقدي الجزائري عليها، وذلك بما قدمه أبو القاسم سعد الله في الدراسة التي قام بها (عن الشاعر محمد العيد آل خليفة) هذه الدراسة قسمها الكاتب إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول خصصه لحياة الشاعر، ضمنه ثلاثة فصول (البيئة، والنشأة، والثقافة، آراؤه وتجاربه)، القسم الثاني شعره، عبر تسعة فصول،حول مواضيع الشعر وحصائصه، ومنزلته.القسم الثالث: نماذج من شعره ، أثبت فيها الكثير من قصائده.

والمنهج التاريخي في هذه الدراسة يظهر من خلال الطريقة التي سلكها سعد الله حيث يقول: " عكفت مدة على دراستها وربطها بالأحداث والمناسبات التي قيلت فيها، وتتبعت تطور الشاعر من خلال تجربته الشعرية الطويلة، ووضعته في الميزان مع رفاقه من الشعراء، وفي الإصلاح وفي السياسة "[12] فالدراسة تركز كثيرا على حياة الشاعر، وموضوعات شعره ، وتربطها بالمناسبة التي قيلت فيها.

وهذه الدراسة لسعد الله في الأصل رسالة ماجستير أشرف عليها عمر الدسوقي ، تلتها دراسات أخرى لأقطاب هذا المنهج : عبد الله ركيبي، وصالح خرفي ، ومحمد ناصر وعبد الملك مرتاض، وغيرهم .

ولقد حظي المنهج التاريخي في الدراسات التي قام بها النقاد في الجزائر بحفاوة كبيرة، ولعله كان الأنسب في دراسة أدب ظل حقبا كثيرة في طي النسيان؛ لظروف مر بها المثقف الجزائري، لم يتح له فيها التفرغ لجمع ودراسة ما أنتجته القريحة الأدبية في الجزائر، لكن وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وانجلت الظلمة، انبرى النقاد والمهتمون، لهذا الكم الشعري والنثري الهائلين، وكانت البداية تقتضي دراسته دراسة التاريخية؛ فشملت الدراسات كلا من الفن الشعري والنثري، فنجد من الدراسات التي اهتمت بالفن الشعري تلك التي قدمها محمد ناصر (الشعر الجزائري الحديث) و(مفدي زكريا شاعر النضال والثورة) و (أبا اليقظان وجهاد الكلمة) وغيرها من

الأعمال النقدية التي" ظل فيها أمينا للرؤية المنهجية التاريخية لا يكاد يبرحها إلا لماما"[13]

وكذلك ما قدمه صالح خرفي من الأعمال كـ (شعر المقاومة الجزائرية) و (الشعر الجزائري الحديث) الذي يعد دراسة أكاديمية، فهو الأطروحة التي قدمها لنيل شهادة الدكتوراه، سنة 1970، بجامعة الجزائر، والدراسة تولي الاهتمام الكبير للمؤثرات الطبيعية التي يرى الكاتب أن الإلمام بها ضروري لفهم النص حيث يقول: " إن الطبيعة وإلقاء الضوء على البيئة كمدخل لدراسة ظاهرة أدبية أو فكرية، لا يساعد على فهم النص بهدي من ملابساته وظروفه فحسب، بل يساعد أيضا على تتبع الجذور العميقة للنبتة الأدبية وطبيعة الأرض التي انبثقت عنها "[14].

ويظهر المنهج التاريخي، من خلال حصر الكاتب دراسته بفترة زمنية محددة ببداية، فقد كانت البداية بسنة 1930، وتعليل اختياره لهذه البداية كلها أحداث كبرى، كانت لها آثارها الواضحة على الساحة الأدبية في الجزائر، حيث يقول : " اعتبرنا أن سنة 1930 هي نهاية التأثيرات الواضحة بالحرب العالمية الأولى وما تلاها من أحداث حاسمة أثرت في شكل الأدب تبعا لتغير مضمونه ووظيفته، كما أن مرور قرن على الاحتلال كان إذانا بأحداث لها دلالتها وآثارها "[15] ويزيد الأمر وضوحا أن الناقد أسفر عن منهجه بقوله : " استعنا بالتاريخ في فهم النصوص وموقعها منه، وبالمجتمع في فهم ملابساتها وأصدائها، واستفسرنا النفسية التي أثرتها المأساة عمقا وإحساسا، ولم نغفل السياسة التي تعتبر المنطلق الرئيسي للشعر الجزائري "[16] وقد استهل دراسته بمدخل حول الحياة العامة في الجزائر، دينيا وفكريا واجتماعيا وسياسيا.

ولقد انتهج عبد الملك مرتاض في دارسته الأولى المنهج التاريخي ، ففي كتابه (الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور) في هذه الدراسة يبحث الكاتب في إشكالية

مطروحة لدى الدارسين والمهتمين بالأدب الجزائري، مفادها هل حفظت الأيام ـ في ظل المتغيرات العصيبة ـ تراثا يمكن أن نسميه بالأدب الجزائري القديم ؟ يقول الدكتور عبد الملك مرتاض مجيبا عن هذا السؤال : " ولما كان من غاياتنا الإجابة عن مثل هذا السؤال فقد جئنا إلى ما وقع لنا من مصادر ومراجع، ثم شرعنا في ملاحظة النصوص الأدبية التي انتهت إلينا بمحاولة إعادتها إلى الحافرة والرجوع بها إلى أصولها الأولى ما أمكن ذلك لتوثيقها وتحقيق روايتها "[17] هذا العمل الذي قام به عبد المالك مرتاض يعد من صميم المنهج التاريخي.

كما نجده في المقدمة يفصح عن المنهج الذي سلكه " ولكيما نتمكن من إثبات أدبية هذا الأدب من جهة وتحديد حجمه تقريبا من جهة ثانية، وتمكين القارئ من الإفادة من طائفة من نصوصه من جهة أخرى، كان علينا أن ننتهج منهجا تاريخيا في القسم الأول من بحثنا هذا "[18] فكان الفصل الأول من الكتاب، البحث عن عوامل نشأة هذا الأدب، الذي تناول فيه الحديث عن دخول الفاتحين المسلمين إلى بلاد المغرب العربي، وتعليم سكان هذه الأرض اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ثم ما أعقب هذا الفتح من أثر تعلم اللغة العربية وازدهارها وعوامل نشأة الأدب والثقافة العربية.

كما نجد المنهج التاريخي واضحا في دراسة مرتاض في كتابه (فنون النثر الأدبي في الجزائر) حيث يذكر في المقدمة الغاية من دراسته هذه والسبب الذي دفعه إليها، فبعد ما أشار عليه أستاذ من أساتذته بالاشتغال على الأدب العربي الجزائري " لما فيه من جدة ولما يحتاج إليه من دراسة تجلو فيه الغامض وتحي الدارس وتصقل الشاحب "[19] ثم إنه في الباب الأول من الكتاب تحدث عن الحياة العامة: السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية في الجزائر، فالكتاب يكشف عن مرحلة تاريخية من تاريخ الجزائر، يجلي فيها الكاتب الوضع العام الذي عاشته من 1931، إلى

1954، الذي يشمل مختلف مناحي الحياة، وآثار ذلك على الحركة الأدبية، ويركز على ربط الفنون النثرية الأدبية بعوامل نشأتها وتطورها.

ولقد انتهج المنهج التاريخي في كتابه (نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائري) التي حددها من سنة 1925 إلى سنة 1954 وهذه الفترة حسب الناقد تعد البداية الفعلية للنهضة الأدبية، حيث إن سنة 1925 هي التي أسس فيها ابن باديس جريدة المنقذ، أما نهاية هذه الفترة بسنة 1954 فلأن الثورة العظيمة أذابت كل العبقريات والاتجاهات وجعلت من الكفاح المصدر الوحيد من أجل الحرية[20] وكان للظروف التي عاشتها الجزائر أثر واضح في توجيه الكتابات الأدبية وجهة نضالية ثورية .

1.3 المنهج التاريخي في دراسة عبد الله ركيبي:

يعد عبد الله خليفة ركيبي من أبرز الدارسين والمشتغلين بالأدب الجزائري فقد قدم العديد من الدراسات النقدية حول الأدب الجزائري، جلها يتعلق بالكشف عن هذا الأدب المتناثر في الصحف والمجلات، والمكتبات الخاصة، كيف نشأ وما هي عوامل ازدهاره وتطوره، وهو بلا شك إما مرت عليه حقب عصيبة، إبان الاستدمار الفرنسي، الذي لم يتح فيه للكثير من الكتاب والمبدعين نشر ما تمليه القريحة من إبداع .

فهذا الأدب يحتاج أولا إلى من يجمعه من مظانه ويعرف به ، ويبحث عن نشأته وعوامل تطوره، فلذلك يظهر أن ما سبق من الدراسات التي تعد الأولى بالنسبة للأدب الجزائري، انتهجت المنهج التاريخي. ولقد اشتغل " عبد الله ركيبي، على هذا الأدب الجزائري بمختلف أجناسه، وكان المنهج التاريخي من بين المناهج المساعدة له.

ففي كتابه (الشعر الديني الجزائري الحديث) يتجلى المنهج التاريخي، لربط الناقد الدراسة بفترة زمنية محددة، من سنة 1871 إلى 1930، ولا نعدم في المقدمة ذكر المنهج الذي سلكه في هذه الدراسة، فقد أبان الكاتب عن منهجه بقوله : " والواقع أننا اخترنا منهجا لهذا البحث يجمع بين التاريخ والنقد (...) على أن اهتمامنا انصب في تحليلنا للنصوص الشعرية على الجانب الاجتماعي، وركزنا عليه وربطنا بين الشاعر وبيئته وبين المنشئ وجهوده "[21] فالتركيز على الجانب الاجتماعي، وربط الشاعر ببيئته، كل ذلك عودة إلى تاريخ أثر ذلك في الإنتاج الشعري للشاعر، وكل ذلك حفر في ماض لإظهار آثاره .

أما كتاب عبدالله ركيبي الثاني (تطور النثر الجزائري الحديث) الذي حدد فيه الدراسة بفترة زمنية، فكانت البداية من سنة 1930 والنهاية بعام 1974، معلنا سبب حصره لدراسة النثر الأدبي في الجزائر بهذه الفترة، بما عاشته الجزائر من ظروف اجتماعية جراء الاستعمار الفرنسي، وتأثر الأدب بهذه الظروف سلبا وإيجابا، هذا بالنسبة للبداية، أما المحطة النهائية فيعللها بأنها الذكرى العشرون لقيام الثورة ، ويرى أن " الأدب بعد هذه السنة سيتاح له أن ينطلق إلى آفاق جديدة نظرا لاهتمام الأدباء به "[22]؛ والناقد في هذا الكتاب قسم الفنون النثرية التي عرفها الأدب في الجزائر في هذه الفترة إلى قسمين:

1 أشكال نثرية تقليدية، وتضمنت : الخطب والرسائل، وأدب الرحلات، والمقامات والمناظرات، والقصة الشعبية.

2 أشكال نثرية جديدة وتضمنت: المقال الأدبي، والقصة القصيرة، والرواية العربية، والمسرحية، والنقد الأدبي.

ووفقا لما يقتضيه المنهج التاريخي فقد بين الناقد النشأة الأولى لهذه الفنون وأهم من كتب فيها، والتطور الذي صاحبها وهي تسير سيرها الزمني، وبين العوامل التي

أعاقت تطورها، والأسباب التي بعثتها ونهضت بها، ونمت في أحضانها، و من هذه الأسباب: الصحافة الوطنية، والعمل التثقيفي الذي كانت تقوم به جمعية العلماء المسلمين، والتأثير بالمشرق العربي، والأوضاع التي عاشتها الجزائر سواء منها الاجتماعية والسياسية والثقافية إبان فترة الاستعمار الفرنسي، فالناقد عبد الله ركيبي، في دراسته للنثر الجزائري الحديث، يتخذ من الزمن وتحولاته، وظروف واقع الأدبي بمختلف أشكاله، والكتاب الذين برزوا في هذه الفنون، محطة للدراسة التي هي من صلب المنهج التاريخي، غير أنه يمزج المنهج التاريخي بالمنهج الفني، من أجل إبراز وإيضاح التغير والتطور الذي طرأ على هذه الفنون، فالملمح الجمالي ضروري في الدراسة، كما أن المعرفة التاريخية ضرورية.

أما كتابه (القصة الجزائرية القصيرة) الصادر عن المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،سنة 1982 فهو يعد أول كتاب يعرض للقصة الجزائرية القصيرة على امتداد زمني بدايته من سنة 1928 إلى سنة 1962 حيث أشار فيه للمراحل الزمنية والتطورات الفنية التي مرت بهما القصة في الجزائر.

ففي مقدمة هذا الكتاب يفصح عن المنهج الذي سلكه في الدراسة حيث يقول: " فاخترت المنهج الذي يجمع بين النقد والتاريخ . فالتاريخ ليس مقصودا لذاته وإنما هو لبيان خط تطور القصة ومسارها العام، وكيف تطورت وما هي الأشكال التي ظهرت فيها؛ لأن الأدب يتطور بتطور حياة الإنسان ، والتاريخ يساعد على تحديد مراحل هذا التطور"[23] فالناقد يفصح عن المنهج النقدي الذي استعان به، ويبين صلاحيته وأهميته في الدراسة التي يقوم بها .

ثم إن الناقد في هذا الكتاب يبدأ الدراسة من البدايات الأولى للقصة القصيرة من حيث ظهورها وتطورها، والخلفية التاريخية، والوضعية الاجتماعية والأسباب التي أدت إلى تأخرها " نتيجة وضع خاص وظروف عرفتها الجزائر دون غيرها من

الأقطار العربية، وقد أحاطت هذه الظروف بالثقافة العربية في الجزائر "[24] وهي كما يجملها الناقد: *- الوضع الاستعماري الذي عاشته الجزائر، وقد كان هدفه القضاء على الهوية الجزائرية. *- تأخر النهضة الثقافية في الجزائر إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى. *- الانعزال الثقافي والحصار العلمي الذي فرضه الاستعمار. *- اضطهاد اللغة العربية الوطنية، حتى أوشكت أن تصبح لغة أجنبية. *- ارتباط الحياة الأدبية بالشعر[25].

ثم ينتقل الناقد إلى بداية ظهور القصة في شكلها الفني، ويتتبع تطورها، بدءا من المقال القصصي والصورة القصصية إلى القصة الفنية، في ظل تغير الظروف الاجتماعية، والفردية، والمعايير الأدبية التي أحاطت بتلك الوقائع، فبتغير الوضع الاجتماعي ظهرت البداية الأولى للقصة والمتمثلة في نظر عبد الله ركيبي في المقال القصصي ثم في الصورة القصصية التي انبثقت عنها القصة الفنية، فهذا التسلسل هو الذي سارت فيه القصة في الأدب الجزائري

ويعد عبدالله ركيبي المقال القصصي الشكل البدائي الأول الذي بدأت به القصة الجزائرية القصيرة، ويرد ظهوره إلى ارتباطه بالمقال الأدبي المرتبط بالحياة الأدبية لدى الحركة الإصلاحية؛ والمقال القصصي في نظر عبد الله ركيبي مر بمرحلتين ، لكل واحدة منهما ظروفها، التي فرضت على المبدعين مواضيع ارتبطت بالوضع الاجتماعي، ومراعاة التطور في الشكل، فالظرف الذي ظهر فيه المقال القصصي في المرحلة الأولى " كان الشعب الجزائري يعيش في غليان عنيف وصراع حاد، صراع بين عهد الركود وبين عهد البحث عن الذات "[26] أما مواضيعه فقد عالجت المشاكل الاجتماعية، والسياسية، وانتقدت المظاهر السلبية السائدة، فمضمون المقال القصصي في نظر الناقد إنما " يبلور أفكار الحركة الإصلاحية، ويساهم في المعركة بين أنصار هذه الحركة وأنصار الإدماج والرجعية الدينية،"[27]

أما مميزات شكله الأدبي في المرحلة الأولى فهي:

1 المقدمة الوعظية الطويلة .

2 الاعتناء بالسرد والوصف أكثر من الحوار .

3 الاعتناء بالألفاظ الضخمة والجزلة، التي تقرب من ألفاظ المقامات.

4 عدم الاحتفاء بالترابط بين البداية والنهاية .

أما المرحلة الثانية التي تدخل في إطار تتبع تطور المقال القصصي، والتي تبدأ حسب الناقد من نهاية الحرب العالمية الثانية، إلى قيام الثورة التحريرية، ففي هذه المرحلة اتسع نطاق المقال القصصي، بحيث أصبح الكتاب لا يتقيدون فيه بموضوع محدد أو بفكرة معينة وإنما طرقوا عدة موضوعات "[28] من بينها:

1 الدعوة إلى خروج المرأة إلى الحياة العامة، حسب المبدأ الديني

2 انتقاد الكثير من الأمراض الاجتماعية والعادات والتقاليد .

3 الاهتمام بدور الفن والأدب والثقافة في المجتمع[29]

وهذا التطور حسب نظر الناقد يعود إلى الوعي الذي دب في الشباب بعد الحرب العالمية الثانية، وإلى عودة جريدة البصائر بعد انقطاع دام ثماني سنوات، وبعودتها " أفسحت المجال لمناقشات كثيرة لم تنحصر في نطاق الإصلاح والدين وتحرره من الأوهام والخرافات (...) بل اتسع صدرها للمقال القصصي والصورة القصصية والقصة الفنية أحيانا "[30]

ويرى النقد أن المقال القصصي في هذه المرحلة اتسم بموضوعات سياسية تدين الاستعمار، وتدعو إلى البحث عن وسائل الكفاح الجدي، ففيها كان التركيز" على تعليم المرأة وخروجها للحياة العامة، وقضايا الفن والأدب والثقافة والمثقفين،كما تعرض المقال القصصي للمشاكل الاجتماعية والسياسية وانتقد المظاهر السلبية في العادات والتقاليد التي تعوق التقدم والتطور "[31]؛ أما من حيث الشكل كما يصفها

الناقد، فقد احتفت بالمقدمة الوعظية التي كانت جزءا أساسيا من المقال، وكان للحوار السمة الرئيسية، إلى حد أن اختفى منه السرد والوصف .

أما الصورة القصصية فيرجع الناقد عبد الله ركيبي نشأتها إلى النضج الذي عرفته البيئة الثقافية، مما جعلها أكثر استعدادا لقبول هذا اللون من الكتابة، بعد ما كانت ترى في الشعر وحده الرؤية الفنية، غير أنه لما " انتشر التعليم وتحررت العقول ... أصبح الكتاب ينادون ويلحون على معالجة القصة "[32]

ويرجع الناقد سبب هذا الوعي إلى الواقع الذي عاشه الشعب الجزائري في الفترة التي جاءت بعد الحرب الكبرى ، وبمأساة 8 ماي 1945، فهذا التغيير الذي طرأ على المجتمع أفسح المجال أمام الصورة القصصية، ليسجل الكتاب فيها ما تولد عنها من أفكار وصراعات سياسية واجتماعية وثقافية والناقد في تتبعه لسير الصورة القصصية يقسمها إلى مرحلتين مختلفتين زمانا.

فالمرحلة الأولى قبل الحرب العالمية الثانية، وحتى عودة البصائر عام 1947 وكانت فيها الصورة القصصية قليلة جدا ولم يمارس كتابتها إلا القليل من الكتاب.

ويذكر الناقد " أن الصورة القصصية في هذه المرحلة وإن عالجت قضايا جدية في مضمونها، فإنها ظلت مفككة من حيث الشكل وظل أثر المقال القصصي واضحا فيها، في السرد والأسلوب الخطابي وعدم الاعتناء بالبناء القصصي وبالشخصية القصصية . غير أن الحوار فيها أخد يميل إلى البساطة في التعبير وإلى السهولة في اللغة أحيانا "[33] ؛ أما المرحلة الثانية، فالصورة القصصية تطورت إلى حد كبير في مضمونها، وشكلها، واقتربت من القصة الفنية.

وبعد دراسة الناقد للمقال القصصي، والصورة القصصية من حيث النشأة والتطور، وقف بنا على القصة الفنية، فذكر نشأتها لدى الغرب، مشيرا إلى الرواد الذين اشتهروا بفنيتها، ثم ذكر ظهورها في الوطن العربي، والأسباب المساهمة والعوامل

المؤثرة التي أدت إلى تطور القصة الفنية في الجزائر، وترجع حسب نظر الناقد إلى النقاط التالية : *- اليقظة الفكرية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية .*- البعثات الثقافية نحو المشرق . *- الثورة التي فتحت موضوعات عديدة ، وكانت الحافز الأكبر الذي دفع الكتاب إلى كتابة القصة .

فهذه العوامل كان لها الأثر في يقظة الكتاب، وكانت هي الدافع إلى الاهتمام بكتابة " القصة القصيرة فغيرت كثيرا من نظرتهم إلى الواقع .فبعد أن كان الحديث عن الواقع لا يعدو أن يكون تسجيلا له ـ كما كان الأمر في الصورة القصصية، أصبح التعبير عن هذا الواقع وتصويره هو هدف كتاب القصة القصيرة[34]

ويرى الناقد أن القصة في هذه الفترة لم تتطور بصورة مفاجئة، وإنما سارت ببطء، مما جعلها تتسم بمصاحبة الصورة القصصية، ويدلل على ذلك بقصص (لرضا حوحو) " ترى الحرب " و " فتاة أحلامي " و " في ليلة واحدة " لـ (السعد حكار) و " السعفة الخضراء " لـ (سعد الله).

وبعد دراسة الناقد لمضمون وشكل القصص التي مثل بها، يحكم عليها بأنها مزيج من الصورة القصصية والقصة القصيرة الفنية، ومرد هذا المزج في نظره " يرجع إلى أنه في الفترة الأولى وجدت وجهتا نظر. واقع ارتبط فيه الشعب بماضيه وتاريخه، ووافد كان محل خلاف ونقاش وتساؤلات مختلفة"[35]

ثم درس الناقد نمو القصة وتطورها، وتمثلها لاتجاهين : الاتجاه الرومانسي ، والاتجاه الواقعي وفي دارسته للقصة ضمن الاتجاه الرومانسي يقسمها إلى نوعين : النوع الأول : الرؤية فيه خيالية مجنحة، أما النوع الثاني فالرؤية فيه ذاتية منغلقة، موغلة في الانغلاق والذاتية ويلحظ الناقد أن الاتجاه الرومانسي والاتجاه الواقعي ظهرا متزامنين لأن " الكتاب كانوا يكتبون اللونين من القصة معا : الرومانسية والواقعية "[36] ثم إن الاتجاه الرومانسي توقف لأنه لم يعبر عن الهموم الإنسانية، بقدر

ما كان يعبر عن هموم الشخصية الذاتية، " ثم ظهر الاتجاه الواقعي، بسبب فعل الثورة الذي خلق ظروفا جديدة وغير واقع الفرد والمجتمع معا، وذكر في هذا التيار قصصا لمجموعة من الكتاب " عبد الحميد بن هدوقة " و" الطاهر وطار " و "أبو العيد دود" و" عثمان سعدي "[37] فالقصة ذات الاتجاه الواقعي في نظر الناقد كانت الأنجع في التعبير عن الواقع الجزائري، حيث عالجت موضوعات مختلفة وارتبطت بالقضايا الإنسانية، وعكست نظرة الكتاب للحياة .

ثم تكلم في الفصل الثاني على القصة القصيرة المكتوبة بالفرنسية، والظروف الاستعمارية التي جعلت الكاتب الجزائري يكتب باللسان الفرنسي، وقسم هذا النوع من القصص إلى قسمين: قسم اتسمت فيه القصة بكونها حكاية شعبية ساذجة، والقسم الثاني ظهرت فيه متطورة ، وذلك مع بداية الثورة حيث اتجهت إلى الواقع والظروف القاسية التي يعاني منها الشعب بسبب الاستعمار.

4.خاتمة:

وبعد هذه القراءة للمنهج النقدي التاريخي في بعض الدراسات النقدي الجزائرية، وخاصة فيما كتبه الدكتور عبد الله ركيبي ، يظهر جليا اعتماد هذا المنهج، كدراسة تهتم بالأدب من حيث النشأة والتطور، الخاضع لعوامل التأثير والتأثر، وعليه سارت الدراسة الأولى للأدب في الجزائر، و لأنه يعتبر الأنسب للتعريف بأدب ولد في رحم الاستعمار، وفرق في مصادر شتى.

ومما سبق نستنتج مايلي :

ـ إن الحضارات القديمة عرفت المنهج، خصوصا عندما تراكمت التجارب وازدهرت الحياة المدنية ، واحتاج الإنسان إلى تدوين تاريخه وماضي الأمم التي سبقته، وإلى دراسة ما خلفته من فنون أدبية .

ـ أما في النقد الحديث، فقد عرف المنهج التاريخي ازدهارا كبيرا، في ظل تطور المناهج العلمية التي عرفتها النهضة الأوروبية، ومنها انتقل إلى الأوطان العربية، فأضحى الناقد يتناول النص بالدراسة الشاملة، من حيث كونه وثيقة تحتاج إلى تحقيق، وإلى الكشف عن ملابسات الحقبة الزمنية التي وجد فيها، ودراسة حياة المبدعين، ثم تقييم النص فنيا .

ـ كانت البداية الأولى في الدراسات الأكاديمية، بالنسبة للنقد الجزائري مع المنهج التاريخي، خصوصا مع مطلع الستينيات من القرن العشرين، هذه المرحلة التي كانت تتطلب التعريف بالأدب الجزائري، والعناية بجمعه وتصنيفه .

ـ وفيما كتبه عبد الله ركيبي حول الأدب الجزائري خصوصا في كتابه (القصة الجزائرية القصيرة) يمكن أن نسجل ما تم التوصل إليه من نتائج :

ـ إنه أحد النقاد الجزائريين المهتمين بالأدب الجزائري، فقد ترك دراسات، وإرثا نقديا وأدبيا كبيرا ، وكانت مؤلفاته في فترة كان فيها الاهتمام بالأدب الجزائري في أمس الحاجة للتعريف به، مما جعله أرضية اتكأ عليها الدارسون للقصة القصيرة على الخصوص وللفنون النثرية عموما؛ كانت جل دراسته النقدية للأدب الجزائري حول ما يتعلق بنشأته وتطوره، والتي نحا فيها المنحى التاريخي، مبينا الرواد الأوائل حول كل ما أنتجته القريحة الأدبية من أجناس، وكيف تطورت.

ـ ينبغي مزيد الاهتمام والعناية لكل ما كتبه كل الأدباء والنقاد الجزائريين، ودراسة مختلف الأجناس الأدبية التي أبدعوا فيها، قديما وحديثا، دراسة شاملة تعم الرقعة الجغرافية للوطن، فهناك فن أدبي كبيرا لم يظهر إلى النور، وربما يكون عرضة للضياع والاندثار إذا ترك عند من لا يعرف قيمته.

ـ تحفيز الطلبة الجامعيين من أجل اشتغالهم على هذا الموروث الأدبي والنقدي الجزائري، ودراسته فيما يقدمونه من مذكرات وأطروحات دكتوراه

ـ إدماج نصوص مما كتبه الأدباء والنقاد الجزائريون في البرامج الدراسية في مختلف الأطوار التعليمية من أجل أن يتعرف أبناؤنا الطلبة على ما تزخر به بلادهم من إبداع ، ومشاهير علماء وأدباء كبار

5.المراجع

[1]علي جواد الطاهر،منهج البحث الأدبي، مطبعة العاني، بغداد، 1970 ص13.

[2] يوسف خليف، مناهج النقد الأدبي، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، 1997، ص .

[3] علي جواد الطاهر، مرجع سابق ،ص 18

[4] ابن منظور محمد بن مكرم، ط ، 3 لسان العرب، دار صادر – بيروت، 1414 ج 2 ص 363

[5] أحمد امين، ط4، النقد الأدبي ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، 1967،ص 22.

[6] عبد السلام المسدي، في اليات النقد الأدبي، دار الجنوب، تونس، 1994،ص 79.

[7] سمير سعيد حجازي، ط 1، مناهج النقد الأدبي المعاصر بين النظرية والتطبيق, دار الآفاق العربية القاهرة، 2007.ص190.

[8] حسان الجيلالي، الإبداعية والمجتمع اخفاقات المبدعين في محيط المتخلفين، دار الوطن، سطيف الجزائر، 2018. ص 29.

[9] سمير سعيد حجازي ، مرجع سابق ، ص189.

[10] أحمد أمين ، مرجع سابق ص 22.

[11] نفسه، ص22.

[12] أبو القاسم سعد الله،، ط 5 ، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، دار الرائد الجزائر، ، 2007، ص 17

[13] يوسف وغليسي، الأدبي المعاصر من اللآنسونية إلى الآلسنية، رابطة إبداع الثقافة الجزائر،ص 27,

[14]صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984، ص11.

[15] نفسه، ص 7.

[16] نفسه ، ص 8.

(17) عبد الملك مرتاض،الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور، دار هومة الجزائر، ص 12.

(18) نفسه، ص 13.

(19) عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983، ص 2.

(20) عبد الملك مرتاض نهضة الأدب الجزائري المعاصر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983 ،ص 90

(21) عبدالله ركيبي، ط 1، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981، ص 8.

(22) عبد الله اركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي الجزائر، ص 9 .

(23) عبد الله الركيبي، القصة القصيرة في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، س 1983،ص 6,

(24) عبدالله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، مرجع سابق ،ص 10.

(25) المرجع نفسه ص 10 .

(26) المرجع نفسه ، ص 587

(27) حميدات مسكجوب، اتجاهات نقد القصة القصيرة في الجزائر، دار هومة الجزائر، 2011. ص 21

(28) المرجع نفسه ص 22 .

(29) ينظرعبد الله ركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، مرجع سابق، ص 74 .

(30) المرجع نفسه ،ص 75.

(31) المرجع نفسه، ص 85.

(32) المرجع نفسه، ص 88 .

(33) المرجع نفسه، ص 102.

(34) المرجع نفسه ص 159.

(35) المرجع نفسه، ص 173.

(36) المرجع نفسه ص 174.

(37) حميدات مسكجوب ، مرجع سابق ، ص 24.